وهنا أخذ هيرش يرفع صوته ، بينما بلغ صوت هيرتزل حد الصياح وهو يقول : « اني سأذهب الى القيصر الالماني . انه هو سيفهم ، اذ أن تربيته غرست فيه المقدرة على التفكير بالاشياء الكبيرة » .

ورمشت عين البارون عند سماعه ذلك ، بينما واصل هيرتزل صياحه قائلا انه سيشتري من القيصر حق اليهود بمغادرة أوربا . فسأله هيرش : « من أين ستحصل على المال ؟ »

فأجابه هيرتزل بدون تردد أنه سيجمع قرضا يهوديا قوميا بمبلغ عشرة ملايين مارك ألماني . عند ذلك قال هيرش : « اليهود الاغنياء لن يدفعوا شيئا ، فالاغنياء تافهون ولا يهتمون بمعاناة الفقراء » . فأجابه هيرتزل بحنق : « انك تتحدث مثل الاشتراكيين » .

فأجابه البارون بنفس النبرة « بل أنا اشتراكي . وأنا على أتم استعداد لاعطاء كل شيء شريطة أن يفعل الآخرون مثل ذلك » .

وانتهت الزيارة عند هذا الحد ، مع ان هيرتزل لم يغط أكثر من ست صفحات من مجموع التقرير الذي كان قد أعده لهذه المناسبة والذي بلغ طوله ٢٢ صفحة .

وفي اليوم التالي أرسل رسالة طويلة الى البارون يبلغه فيها بأنه اذا هو (أي البارون) سيخيب أمله فيه مثل بقية الاغنياء اليهود ، فانه هو ، هيرتزل ، سيتوجه الى الجماهير اليهودية مباشرة . ثم قال ان الفرق بينهما هو : « انك يهودي المال ، وأنا يهودي الروح » . وأضاف ان المشكلة في أيام موسى كانت الغذاء والماء ، أما في هذه الايام فالمشكلة هي المال والمال والمال . فالمال ضروري لنقل المهاجرين وتوطينهم . ولم ينس هيرتزل في رسالته أن يأتي على ذكر علم الدولة العتيدة ، وكان ذلك من المواضيع العزيزة على قلبه، فقد كتب: « الناس يعيشون ويموتون في سبيل العلم، لانه حقا الشيء الوحيد الذي يبدون استعدادهم للموت بالجملة في سبيله، شريطة أن يتولى أحد تربيتهم على ذلك » .

ثم أكد لهيرش أن الشعب اليهودي في هذه اللحظة من تاريخه يحتاج الى رؤيا متجددة أكثر من أي شيء آخر : « تأمل اذا شئت ، في كل ما احتمله اليهود خلال الفي عام ، من أجل الرؤيا . فالرؤيا وحدها تشد نفوس البشر ، والذي لا يعرف كيف يتعامل مع الرؤيا ، قد يكون شخصا ممتازا وجديرا وعمليا ، بل وحتى محسنا على نطاق واسع ، لكنه لن يصبح زعيما للرجال ، ولن يخلف وراءه أثرا » .

وواصل محاضرته ليذكر لاول مرة فكرته الداعية الى الخروج الجماعي Exodus الى أرض الميعاد . ان مشكلة النقل ستكون بلا مثيل في العالم الحديث (كتب هيرتزل) والحاجة تدعو الى انشاء هيئة أركان من بين المثقفين في صفوف الكادحين اليهود ، وهؤلاء سيكونون كوادر الجيش . انهم سيسعون الى الارض لاكتشافها ومن ثم الاستيلاء عليها . وعرض على هيرش أن يصبح قائدا عاما لهذا الجيش ، اذا ما هو أبدى استعداده لدفع خمسين مليون مارك حالما يتم جمع مئة مليون مارك من مصادر أخرى . وذكر ان المبلغ الاجمالي المطلوب سيصل الى عشرة مليارات ، بينما المطلوب للبداية هو مليار مارك فقط . « بهذا المبلغ سنبني البيوت والقصور ومساكن العمال والمدارس والمسارح والمتاحف وبنايات الحكومة والسجون والمستشفيات والملاجىء ، وباختصار : المدن . وسنجعل الارض خصبة الى حد انها ستستأهل لقب أرض الميعاد » . وأخيرا كتب : « المال اليهودي متوفر لتسليف الصينيين ، ولبناء الخطوط الحديدية للزنوج في افريقيا ، ولابعد المشاريع مكانا . أفلا يوجد المال لاعمق حاجة لليهود أنفسهم ، ولأكثرها اضطرارية ومرارة ؟ »